استخدام المستعمرين الدبابات والمدفعية والطيران في ضرب الثوار أثار عاصفة من الاستياء وسط سكان المنطقة وفي سائر البلدان العربية، وساعد على انتشار الكفاح المسلح إلى مناطق أخرى في جنوب اليمن المحتل

فترة الكفاح الأولى
تحت قيادة الجبهة القومية
(1963 ـ 1964)

العمليات العسكرية في ردفان

الانتفاضة المسلحة في ردفان، التي أصبحت تقودها الجبهة القومية التي كانت تقدم لها مساعدة منتظمة بالأسلحة والمقاتلين المدربين، أخذت تشتد بالتدريج، وبمقدار ما كانت السلطات الاستعمارية تنشط حملتها التنكيلية ضد المنتفضين كانت تتزايد في البلاد مشاعر العداوة للإنجليز، بينما كانت الانتفاضة نفسها تحظى بالتعاطف لا لدى شعب اليمن فحسب بل وفي الخارج أيضاً.

وأثار استنكاراً عاصفاً لدى الرأي العام العربي والعالمي قصف الانجليز الجوي والصاروخي لمدينة حريب الحدودية في اليمن الشمالية، وتبريراً لهذا العمل استندت السلطات البريطانية إلى إن حكومة اتحاد الجنوب العربي وجهت إلى بريطانيا في 19 آذار «مارس» 1964م طلباً تدعوها فيه إلى «تنفيذ تعهداتها بموجب معاهدة الدفاع) وإلى (حماية) اتحاد الجنوب العربي من الجمهورية العربية اليمنية التي لم تعرقل غارات المنتفضين على الأراضي اليمنية الجنوبية، وأثار هذا العمل ردة فعل عدائية في الصحافة البريطانية.

غير أن عمليات القصف الوحشي لم تؤد إلى النتيجة المرجوة فقد واصلت الجمهورية العربية اليمنية ومصر، سواء بسواء، تقديم المساعدة للمنتفضين، وكان مقاتلو الجبهة القومية، بعد أن يجتازوا فترة تدريب في المعسكرات القائمة على أراضي الجمهورية العربية اليمنية، ينضمون إلى صفوف الردفانيين ويكافحون بنشاط ضد المستعمرين.

وفي نيسان «إبريل» 1964م أعلنت المخابرات الإنجليزية إن عدد «المتمردين» في منطقة طريق الضالع المؤدي إلى الشمال قد أرتفع حتى (500) شخص وجميعهم مدربون ومسلحون ويرتدون زياً عسكرياً.

إن فشل عملية (كسارة اللوز) دفع المستعمرين وصنائعهم إلى استنتاج مفاده ان (القوات الاتحادية عاجزة عن الصمود بنفسها) و(قررت الحكومة الاتحادية، بعد التشاور مع المندوب السامي، ان مواصلة العمليات العسكرية في البر أمر لابد منه).

لقد كان قرار الحكومة الاتحادية ذريعة شكلية فقط اتاحت للانجليز بدء عملية جديدة مخطط لها منذ زمن بعيد، وقد صوروا الأمر وكأن الحكومة الاتحادية (طلبت المساعدة من القوات الإنجليزية بموجب معاهدة الدفاع وإنها حصلت على الموافقة هذه المرة).

أغلب الظن إن الإنجليز في هذه الفترة لم يعودوا يعولون على الجيش الاتحادي بعد أن اقتنعوا بأنه غير نشط كفاية في مقارعة المنتفضين، لذا فقد شاركت في العملية الجديدة قوات إنجليزية في الأساس، وقرار إجراء عملية برية واسعة النطاق أثار التخوف حتى لدى صنائع الإنجليز الذين كانوا يتخوفون من أن هذه العملية قد تؤدي إلى انتشار الانتفاضة، فقد كانت لدى الوزيرين الاتحاديين للدفاع والأمن الداخلي اعتراضات جدية على العملية، الأمر الذي ذكره الممثل البريطاني السابق في المحمية الغربية حتى عام 1963م والمندوب السامي في عدن خلال أعوام 1963 ـ 1965م كينيدي تريفاسكس، فقد كتب يقول ان الوزيرين كانا يعتقدان بأن (العملية البرية ستكون أقل فعالية وأغلى ثمناً وربما أكثر خطراً من العملية الجوية، وإن وجود قوات بريطانية في ردفان قد يؤدي إلى معارضة أكبر بكثير مما لو استخدم الطيران، وإن الحوادث التي سوف حصل من كل بد ستثير الارتياح لدى اعدائنا وتولد الشكوك والقلق في انجلترا).

شاركت في العملية التي اطلقت عليها تسمية (ردفان فورس) أو بإيجاز (ردفورس) في البدء قوات تعادل من حيث العدد لواء تقريباً: سرية فوج دبابات (عربات مصفحة)، وبطارية من فوج مدفعية الحرس الملكي (مدافع هوتزر عيار 105 ملم) وهلمجرا، بالإضافة إلى كتيبتين من الجيش النظامي الاتحادي، وقدمت القوات الجوية البريطانية مساندة جوية من خورمكسر.

حددت القيادة البريطانية الهدف العسكري للعملية على الشكل التالي: (وضع حد لعمليات المتمردين في مساحة معينة).

أما فيما يتعلق بالهدف السياسي فقد لخصه المستشار السياسي الملحق بقوات (ردفورس) بمرسوم صادر في 29 نيسان (إبريل) 1964م، اذ كتب يقول أنه من الضروري: (أولاً، تدارك انتشار انتفاضة القبائل، ثانياً تأكيد سلطتنا، ثالثاً إيقاف الهجمات على طريق الضالع).

غير ان الأرض أخذت (تحترق) تحت أقدام المنكلين منذ الساعات الأولى لبدء العملية، ففي 25 نيسان أنفجر لغم تحت سيارة جيب تنقل ضباطاً كباراً كانوا يقودون العملية، مما اتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لرفع معنويات المنتفضين.

ان العملية التي بدأت في 30 نيسان كان هدفها وضع حد (لانتفاضة القبائل) في آيار «مايو» غير أن الهزائم التي مني بها المستعمرون اجبرتهم منذ البداية على إدخال تعديلات تدريجية على الخطط الحربية وزيادة عدد القوات المشاركة في العملية. وفي 11 آيار بدأ النصف الثاني من عملية (ردفورس) الذي كان محسوباً لشهر واحد ينتهي في 11 حزيران «يونيو» 1964م، إن كثافة وامتداد العملية وكمية المعدات والأفراد كانت تشهد على المصاعب التي اصطدم بها جيش المستعمرين في ردفان.

بغية جعل الجيش النظامي الاتحادي يحارب بصورة أفضل ضد المنتفضين اتخذ الانجليز عام 1964م عدة إجراءات لتطويره، فقد تم تحسين تركيبه، وزيادة رواتب أفراده، وتحسين تزويده بالسلاح، و«تعريبه»: استبدل الضباط الانجليز، الذين كانوا سابقاً يقودون جميع كتائب الجيش النظامي الاتحادي، بضباط يمنيين تلقوا تحصيلهم في انجلترا.

بديهي أنه بعد «التعريب» ايضاً بقيت قيادة الجيش عملياً في أيدي الانجليز، ففي ما كان يسمى بمناطق عمل الجيش النظامي الاتحادي، التي انشئت لكي لا (تتأثر قيادة القوات بعملية التعريب)، كان الانجليز يديرون الدفة، مناصب قواد الأركان ورؤساء المخابرات فقط كان يضطلع بها يمنيون، وفور بدء انتفاضة ردفان عزز الانجليز الاعداد القتالي للجيش النظامي الاتحادي، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 1963م أجرت القوات الجوية البريطانية مناورات إنزال في عدن بمشاركة الجيش النظامي ولكن، لا عمليات الانجليز التنكيلية ولا أعمال الجيش الاتحادي استطاعت إيقاف حرب الانصار التي بدأها الشعب اليمني في الجنوب ضد المستعمرين وعملائهم، والأنباء التي كانت تنشر عام 1964م في جريدة (الجنبية) (لسان حال الجيش النظامي الاتحادي)، تعطي فكرة واضحة عن نشاط الوطنيين، فقد جاء في العدد الخامس (شباط ـ فبراير ـ 1964م) أنه في 17 كانون الثاني «يناير» وقعت دورية قوامها 17 شخصاً بقيادة المقدم عوذلي في كمين، فقتل نفران وجرح أربعة، وبعد وصول تعزيزات بدأت معركة مع المنتفضين تكبدت اثناءها سرية الجيش النظامي الاتحادي خسائر فادحة، وغادر المنتفضون القرية بعد قصف بالمدفعية والطائرات قام به الانجليز، وفي 24 شباط قتل في معركة مع 20 منتفضاً قائد السرية، وهلمجرا.

ولم تكن وحدات الجيش الاتحادي تتجرأ على مهاجمة القرى التي تساعد المنتفضين إلا بعد تتلقى مساندة من المدفعية والطيران البريطانيين.

ولم يتسن للمستعمرين وصنائعهم سحق انتفاضة ردفان: وفي مطلع عام 1964م امتد لهيب الانتفاضة إلى مناطق أخرى في جنوب الجزيرة العربية.

باستشهاد الشيخ راجح لبوزة نشأ بين قبائل ردفان نزاع حول مسألة قيادة المقاومة المسلحة، عندئذ أرسلت الجبهة القومية ممثلها الشيخ / عبدالله الجعلي لترؤس جبهة ردفان، واعترفت قبائل ردفان بممثل الجبهة القومية قائداً لها، فكان ذلك ظاهرة جديدة وهي التخلي عن التقاليد القبلية إكراماً لثورة التحرر